Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 10, Mar. 2018

Published on Web 01/3/2018

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد العاشر، مارس 2018م

فهم المعنى

بين الاحتراس والاعتراض

أ. محمد عبدالله احميدة حسين

مقدمة البحث:

يقصد المتكلم – بلا ريب – إبلاغ معنى كلامه لسامع أو لقارئ ما، وبصفته كاتبا هو مخير بين ثلاثة أساليب بلاغية لتأدية معنى ما قصد،(أسلوب المساواة، وأسلوب الإيجاز، وأسلوب الإطناب)، وليس لأي من الأساليب فضل على غيره إلا من جهة أن لكل واحد منها موطن خطاب ومقام أو حال لمخاطب أو مستقبل يكون فيه أنسب، وموطن يحسن فيه، فالمساواة يبدو أنها تحسن لمخاطبة إنسان لا نعرفه، والإيجاز لآخر لا نرغب في طول الحديث معه، أو نراهن على شدة فهمه ولباقته، والإطناب يحسن في موطن التوضيح لمخاطب نريد له ذلك لقلة فهمه، أو لعدم انتباهه، فالإطناب فيه زيادة على الأصل، خدمة للمعنى، وله طرق كثيرة من بينها الاحتراس أو(التكميل)، والاعتراض، وهما كثيرا ما يتشابها في خدمتهما للمعنى.

ولمعرفة تفاصيل الفرق بينهما وكيفية فهم السامع أو القارئ للمعنى خلالهما، جاءت هذه المباحث مرقمة بمطالبها، مسبوقة بمفتتح، معقبة بخلاصة، ولأن هذه الدراسة بينية، بغيتها بيان كيف يكون المعنى بين تقنيتين، من تقنيات الخطاب البلاغي فستعتمد على مهمات المنهج الوصفي كالمقارنة والتحليل.

مفتتـح:

جرت عادة البلاغيين القدامى أن يصطلحوا على تسمية إجراء أو تقنية ما باصطلاح معين، وهم يأخذون بعين الاعتبار في ذاك الاصطلاح أن يكون صادقا، ويشتمل على مؤداه اللفظي أو مفهومه، وكل ما من شأنه الدخول في حيثيات ذاك الإجراء أو الحدث، لا يخلو الأمر من اختلافات بين البلاغيين، باعتبار أن البلاغة معنية بالمعاني أكثر، كما أن الاختلاف في المرجعيّات فيما بينهم واضحة، بله التباين في الأفكار والتمكن، لكن ذلك لم يثنهم عن عقد اتفاقات ضمنية، تسمح لهذا العلم بالتقدم، فتكون هذه الاختلافات هي مجرد إثراء وتنوع فكري، ومن أجل أن نصنع اتفاقا يناسب هذا البحث يتعين علينا أن نوضح (مفهوم المعنى) لدى البلاغيين والنقاد قديما وحديثا.

1/1) – مفهوم المعنى:

– المعنى في معاجم اللغة:

لفظ المعنى: المعنى– من (عني) أو(عنا)– في معاجم اللغة، تدور أصل هاتين المادتين حول المعاني التالية: . الخضوع، والذل القهر، والأسر والحبس، أو عدم الحفظ والظهور والإخراج، والتعهد والقصد، والملابسة والمباشرة والإرادة.[1]

– المعنى في اصطلاح البلاغيين:

اهتم البلاغيون قديما وحديثا بالمعنى إلا أن مفهومه مختلف فيه عندهم، إذ إنه خاضع لاعتبارات فلسفية أو منطقية، وربما منهجية أيضا، من الممكن القول إن المعنى عند البلاغيين يتجاوز المدلول المعجمي، أو منطوق الكلمة الواحدة بل هو ما يدل عليه الكلام المركب، أو هو دلالة اللفظ المركب [2].

1/2) – مقاربة بين المفهوم الاصطلاحي وأصل الإطلاق:

لكلمة المعنى عند المؤلفين القدامى استعمالات متعددة، وتكاد تنحصر تقريبا، في الآتي:

– الغرض الذي يقصده المتكلم.

– الفكرة العامة التي يأتي بها النص

– الأفكار الفلسفية والخلفية القصدية.[3]وإذا أراد الباحث أن يؤلف مقاربة بين إطلاق المعنى في أصل اللغة والمفهوم الاصطلاحي للمعنى لدى البلاغيين، فيبدو أن مفهوم المعنى لدى البلاغيين يقبل جل هذه المعاني الآنفة، أي: وكأن المتكلم أخضع المعنى لألفاظه أو أسَره بألفاظه، أو كأنه لم يستطع إخفاء ما عناه أو قصَده، ولذا أظهره سواء قصد ذلك أم لم يقصده، وتعهد وأخرج ما عناه وقصده بكل مباشرة وإرادة، وسيعمل المتكلم على إزالة كل لَبس أو وهم أو تشويش لتأمين مقصود خطابه.

إن المقصود من الكلام أو التواصل في الأصل هو إفادة المعنى، وفي البلاغة العربية ينحصر المعنى في " المفهوم من ظاهر اللفظ. وهو الذي يفهم منه بواسطة. وبمعنى المعنى: أن يفهم من اللفظ معنى، ثم ذلك المعنى معنى آخر "[4] تبعا للتركيب. وعلى نحو هذا يرى النقاد المعنى، فـ"عندما يطلق النقاد كلمة المعنى فإنما يريدون بها في الغالب المضمون أو المقصد أي ما يريد المتكلم أن يثبته أو ينفيه من كلامه"[5] ، بل إن البلاغة عندهم " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[6].

1/3) المعنى الوضعي، والمعنى السياقي:

المعنى الوضعي للفظ هو المعنى المعجمي أو الأساسي في أصل الإطلاق، والمعنى السياقي، هو دلالة اللفظ في هذا السياق، وهذه الدلالة مكتسبة، وقد تكون طارئة، وكلا المعنيين تناوله اللغويون أصحاب المعاجم، بكل تجريد وحرص، وبناء على ذلك، فإن الكلمة تنهل معناها من السياق الذي تنوجد فيه، ولكن قد لا يزدوج المعنى الأساسي والمعنى السياقي، فهناك دائما قرينة ما ترجح معنى واحدا لكل حالة، فالكلمة ضمن سياقها تقابلها صورة مفهومية واحدة وهو المعنى السياقي.[7]

والمعنى المقصود الذي يتناوله البلاغيون العرب، والنقاد، إنما هو المعنى السياقي، ولعل قضية اللفظ والمعنى أقدم قضية في البلاغة العربية، تمس هذا الموضوع، فمنهم من ناصر اللفظ، ومنهم من ناصر المعنى[8]، وقد يكون عبدالقاهر الجرجاني (ت 474 هـ) خير من لخص لنا هذا الاختلاف، وقد استطاع أن يتخذ موقفا ذكيا عندما لم يهمل كلا منهما، فوضع نظريته (النظم) التي تقوم على حسن صياغة الكلام وحسن الدلالة، وعلاقة الكلمات فيما بينها، ذلك لأنك" إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويُبْنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك "[9] لأنّ " اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس"[10].

وفي الحقيقة كان من المفترض أن يستفاد من هذه النظرية في فهم النصوص الأدبية وتحليلها وتأويلها، لكن قد يأسف المتتبع عندما يكتشف أن نظرية كهذه لم تتجاوز مجرد التمثيل على أبيات مفردة تجتث من قصائدها، قام بها الواضع نفسه عندما أراد أن يبين أسس نظريته في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة. لكن عندما ترجم لنا نقاد الحداثة النظريات الغربية، وحاولوا إعادة قراءة التراث من منظورها، أدركوا بأن نظرية النظم تتماهى بشدة مع البنيوية، حيث إن البنيوية تقوم على مبدإ العلاقات بين البنى المكونة للنص والسياقات "فهناك في القول علاقات تقوم بين الكلمات في تسلسلها تعتمد على خاصية اللغة الزمنية كخط مستقيم يستبعد فيه إمكانية النطق بعنصرين في وقت واحد.. هذا التأليف الذي يعتمد على الامتداد يطلق عليه العلاقات السياقية.. وعندما تدخل الكلمة في تركيب ما، فإنها تكتسب قيمتها فحسب من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات"[11]، هكذا فهمت البنيوية المعنى، فسياق التركيب قد يرجح أو يحتم معنى محدد للكلمة، وإن كانت تفيد عدة معان.

وفي ظل ما يجده الباحث من زخم للنظريات والمناهج النقدية التي يقدمها النقد المترجم عن الآخر، يمكن الترحاب بما تطرحه النظرية الظاهراتية من اهتمام للمعنى، والعنِي أو القصدية،

(Intentionnality)[12]، من حيث إنها تهتم بدراسة ماهيات الظواهر أو المظاهر كما تظهر للوعي وخبرة الذات، ومن غاياتها دراسة الأساليب المتنوعة للظواهر باعتبارها خبرات شعورية تضمر المعنى وتظهر الوعي[13].

لقد قاد الاهتمام بالقصد والوعي إلى الاهتمام بعنصر آخر – يقوم به طرف مهم في العملية التواصلية– وهي: القراءة. وقد عُرِفت القراءة وفي أبسط تعريف لها على أنها: دمج وعي القارئ بمجرى النص، وعبر عن هذه الظاهرة تاريخيا على أساس أنها: تفاعل بين فعل وبنية، ويبدو أن نظريات الظاهراتية بخصوص القراءة أكثر أناقة من غيرها لأنها تضم الفعل والبنية في إطار فكرة واحدة وهي : القصد[14]، ويمكن أن نوجز افتراضات القصدية عن الوعي في أمرين:

1- أن يكون الوعي دائما وعيا بشيء ما.

2- أفضل طريقة نتصور بها الوعي أن يعده الفعل الذي به يقصده الفاعل [15]موضوعا أو يعيه، وبذلك يدخل الموضوع في الحيز المعروف في شكل تصور أو بديهة أو صورة ذهنية[16].

لكن الظاهراتية تضع القارئ إزاء نسق من القصديات، المتمثلة في كل من: قصدية المؤلف، وقصدية النص، وقصية القاريء، ولا يمكن بحال استبعاد القارئ قصد المؤلف باعتباره فاعلا للقصد، لذا فإن معنى أي نص يقوم القارئ بقراءته إنما هو في الحقيقة المعنى الذي يقصده القارئ لذلك النص، لكن هذا النتاج في الوقت ذاته هو موضوع كونه القصد الأصلي للمؤلف، لذا فإن معناه الفريد لابد أن يكون معنى المؤلف[17]. فالقصد من التواصل اللغوي إنما هو الفهم والإفهام، ولا يكون فهم أو إفهام إلا بالمعاني، فالمؤلف مالكا لزمام النص، فاعلا للقصد والعني، وله الحق في بناء نصه، بأسلوب يتسق مع نسقه أو نوعه، ويناسب قصده، ويدافع عنه، بدفع ما تتوارد على القارئ من أوهام، وعلى القارئ أن يتأهب لاختبار ذاته، وأن يحرج نفسه بكم هائل من الأسئلة الهادفة كي يفهم ما قصد المتكلم.!

2/1) الاحتراس:

الاحتراس في أصل اللغة: افتعال من احترس منه إذا تحرز، وتحرست من فلان، واحترست منه أي: تحفظت، وهو من باب حرس الشيء إذا حفظه[18].

فالاحتراس هو التحرز والتحفظ والتوقي، والتباعد عن كل ما من شأنه أن يلحق منه ضرر، ثم أطلق هذا اللفظ عند البلاغيين على إجراء، أو مظهر من مظاهر الإطناب، التي يمارسها أو يلجأ إليها المتكلم في كلامه أو في نصه، ويعرفونه بأنه " أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه"[19]

فحقيقة الاحتراس هي: إصلاح معنى كلام توهم منه السامع خلاف ما أراد المتكلم، فيدفع هذا التوهم عن المعنى المقصود بيد أنه لا يزيله بل يصلح ما كان فيه من فساد، ويدفع ما تطرق له من احتمال دون أن يقطع تواصله الكلامي مع المخاطب.

وقد يدخل الاحتراس في نعت للمعاني أعم منه، يسميه البلاغيون: التميم، أو التمام[20]، فيكون بينهما عموم وخصوص فالاحتراس هو نوع من التميم وهو أخص منه، وقد يسمى احتياطا، لما فيه من معنى الاحتياط للمعنى المقصود[21]، وسماه الجاحظ إصابة المقدار[22].

إذن فالاحتراس عند البلاغيين فيه معنى الحماية والتعقب للكلام، فيلزم منه جميع المعاني اللغوية للكلمة تقريبا، ولهذا الاعتبار قد يسميه بعض البلاغيين التكميل[23]، لتكميله المعنى المراد بدفع التوهم لدى السامع أو القارئ.

2/2) تفاصيل:

الاحتراس في الكلام يقع فجأة بعد انتباه المتكلم لكلامه، وتوجه المخاطبين له، إن درجة الانتباه تختلف، فالاحتراس قد يقع بينيا، وهو ما يتوسط الكلام فيكون في أثنائه أو خلاله، إذ إن المعنى لو اكتمل بدونه لأصبح غير مقبول، وهذا النوع قريب جدا من الاعتراض، لكنه يختلف عنه كما سيتضح، ومن هذا النوع قول عبدالله بن المعتز يصف فرسا:

صببنا عليه ظالمين سياطَنا ::: فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ[24]

الكلمة التي احترس بها (ظالمين) وموقعها من الجملة حال للفاعل المضمر مع الفعل (صببنا) ولو أسقطت هذه الكلمة من التركيب، لتوهم السامع أو المتلقي أن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب، وهذا خلاف مقصودة، فهو بذلك يذمها، والحال أنه أراد أن يمدحها ويظهر تعاطفه معها.

- وقد يقع الاحتراس آخرا أو تذييليا، وهو ما يكون في آخر الكلام، بأن يكون بعد انقضاء كلام لا يفسده هذا الانقضاء، ولكن قد يتطرق إليه التوهم واحتمال معنى غير مقصود، ومن ذلك قول الله تعالى في مدح فريق من المؤمنين ﴿وسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾[المائدة 54]. فإذا كان الله يحبهم ويحبونه فإن ذلتهم للمؤمنين هي لين الجانب وعدم الترفع

عليهم، بقرينة ما تقدم، ولكن قد يتوهم أنها لضعف فيهم، فجيء احتياطا واحتراسا بقوله ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ فأفاد ذلك إثبات القوة والعزة لهم، ويلزم منه أن ذلتهم للمؤمنين لتواضع منهم.[25]

2/3) سبب وروده أو وجه الحاجة إليه:

- بالنظر إلى الأمثلة الآنفة، فإن الاحتراس يكون في الكلام إما نتيجة خطإ من المتكلم في استخدامه لكلماته، أو سوء إسنادها، أو لضعف فيها، فتخونه عبارته في إيصال المعنى الذي قصده للمخاطب.
- وقد يكون أيضا لقصور المخاطب في توجيهه الكلام نحو المعنى المراد في الوقت الذي اعتقد المتكلم أن السامع لا يفوته ذلك، لكن مراهنته عليه لم تكن في محلها، فيحترس في كلامه من أجله، ومن أجل معناه.

2/4) القصد من الاحتراس:

الاحتراس مظهر من مظاهر الإطناب[26] التي قد يستعملها المتكلم لمخاطبيه، ولابد أن يكون له فائدة أو مقصد، وإلا لكان حشوا أو تطويلا، والإطناب إجراء يخدم المعنى وفيه مراعاة لحال المخاطب في الكلام الموجه إليه، ويمكن أن نركز فائدة الاحتراس في نقطتين:

1- إزالة التشويش أو التوهم الذي يحصل بين المتكلم والمخاطب في الجامع بينهما وهو الكلام، نتيجة لعدم دقة المتكلم في استخدام كلماته المناسبة لمعناه المقصود.

2- الحفاظ على المعنى المقصود بدفع التوهم الناتج عنه، بالاحتياط له، والتحرز بدفع الاحتمال.

هكذا فالاحتراس قد يكون مؤشر ضعف في التركيب بالنسبة للمخاطب، ولكنه في الوقت نفسه قد يكون دليل فطنة وذكاء، فينم عن شدة انتباه أو اهتمام المتكلم بمخاطبيه.

3/1)الاعتراض عند اللغويين:

الاعتراض افتعال من اعترض الشيءُ أي: صار عارضا كالخشبة أو ما شابه[27]، والاعتراض في اللغة: المنع، إذ الأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناء أو غيره، منع السالك من سلوكه، واعترض الشيء دون الشيء: إذا حال دونه، والشيء المعترض هو الذي يعترضك، واعترض الشهر: إذا ابتدأه في غير أوله، واعترض فلان فلانا: إذا وقع فيه، واعترض الشيء تكلفه[28]. فالاعتراض فيه معنى المنع والحيلولة، والبدء من غير أول الشيء، والتكلف والإيقاع.

3/2) الاعتراض عند البلاغيين:

يعد الاعتراض عند البلاغيين مظهرا من مظاهر الإطناب أيضا، ويعرفونه بأنه" أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملة أو بأكثر، لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى دفع التوهم"[29]

فحقيقة الاعتراض أن يأتي المتكلم بكلام ثم يعترض كلامه باستئناف كلام آخر، والأول لم ينته بمعناه بعد، لاتصاله بما بعد الاعتراض، لكونه يكمله، كأن يكون بين المبتدأ والخبر أو نحوهما، ولكن الكلام المعترض لا يفسد معناه دون الكلام المعترِض ولا به، وهذا الاعتراض مستقل بلفظه ومعناه، فهو نزيل بالنسبة للكلام الذي ابتُدأ به، وليس له محل من الإعراب منه، فعلى هذا لا يكون الاعتراض إلا في الأثناء، ولا يكون إلا بجملة تؤسس لمعنى جديد ومستقل، وتستقل بالتالي في إعرابها. وقد قيد التعريف الآنف بنكتة غير دفع التوهم لأ لايلتبس بالاحتراس لأن كلا منهما إطنابا وبينيا.

3/3) الاعتراض عند النحاة:

يذكر النحاة الاعتراض باعتباره جملة، ويصفون جملته بأنها: جملة صغرى، لا محل لها من الإعراب، تتخلل جملة كبرى، لإفادة أصل الكلام، تقوية وتسديدا أو تحسينا،[30]

وإذا كان البلاغيون قد لاحظوا الاتصال المعنوي بين الكلامين حتى يكون بينهما اعتراض، فإن النحاة لا يسمون الجملة اعتراضية حتى يكون ما قبلها وما بعدها متلازمين، وحددوا بدورهم المواضع التي يجب فيها الاعتراض أو يجوز، وهذه المواضع كثيرة أوصلها ابن هشام في مغنيه إلى سبعة عشر موضعا [31].

3/4) تفاصيل :

يمكن تقسيم جملة الاعتراض باعتبار قدْرها أو كميتها، أو بالنظر إلى تموقعها أو مكانها في الكلام، كما يلي:

أولا : تقسيمه باعتبار كميته:

قد يكون الاعتراض بجملة، والمراد بالجملة كلام ما يشمل على المسند والمسند إليه، لأن الاعتراض يكون بإضافة معنى جديد، والمعنى لا يمكن أن يؤسس إلا بعملية إسنادية، فلا يكون الاعتراض بكلمة، وربما يكون بأكثر من جملة.

الاعتراض بجملة كقوله تعالى ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار..﴾ [البقرة 24] فإن جملة (ولن تفعلوا) اعتراض بين الشرط وجوابه، وواضح هنا أن الاعتراض قصد به تأكيد عدم قدرتهم على الفعل المقصود .

- الاعتراض بأكثر من جملة، كأن يكون بجملتين، كقوله تعالى﴿ ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب فاطر السموات والأرض﴾[الشورى 10-11]، فإن عليه توكلت وإليه أنيب أعترض بهما بين (ربي) وفاطر.

ثانيا : تقسيم الاعتراض باعتبار مكانه:

الاعتراض إما أن يكون بين كلامين متصلين، فيتحقق له معناه اللغوي ومفهومه البلاغي، وقد نسمي هذا الاعتراض بينيا أو الجلي، وقد يكون الاعتراض في آخر الكلام ، فيليه كلام آخر ليس له صلة بما قبله فهو كلام مستأنف، وبناء على ما سبق فالاعتراض إما أن يكون :-

- بينيا: وهو ما يتخلل كلاما متصلا لفظا ومعنى، فيصير الكلام به على جزئين، جزء قبل الاعتراض وجزء بعده، وهو الغالب والمشهور والواضح ، ويكاد يكون هو الأصل، والجملة الاعتراضية، في غير النص القرآني توضع بين اعتراضين (- -) بحيث يكون الأول في بدايتها والآخر في نهايتها، كما في قول الشاعر :

واعلم – فعلم المرء ينفعه– ::: أن سوف يأتي كل ما قدرا[32]

فجملة (فعلم المرء ينفعه) اعتراض بين الفعل و منصوبه.

- لاحقا أو تذييليا: تبين لبعض البلاغيين أن يقع الاعتراض في آخر جملة ولا تليها جملة متصلة بها[33]، فيكون الاعتراض لاحقا أو كالتذييل، لذا سمي كذلك، فالاعتراض حينئذ " أن يؤتى في أثناء الكلام، أو في آخره، أو بين كلامين متصلين أو منفصلين، بجملة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب لنكتة"[34]، فهذا الاعتراض يكون بمعنى المنع ويحقق بمفهومه البلاغي من حيث كونه لفائدة.

ومن أمثلة هذا النوع في النص القرآني قوله تعالى﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم﴾[البقرة 223] فقوله (والله غفور رحيم) اعتراض تذييلي مقرر ومؤكد لمضمون ما قبله. ومعنى الاعتراض على هذا أنه فصل بين الكلام وبين ما يتوقعه المتلقي من

كلام آخر، فكأنه وصل بين الكلام المذكور والمتوقع والمتأمل، فاعترض المتكلم بذكر ما يتعلق بالكلام آخرا.[35]

3/5) مقاصد الاعتراض أو أثره البلاغي:

قد يتوهم بعض الدارسين – أو لا يفهم– معنى قول النحاة إن الجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب فيظن أنه لا فائدة منها البتة، والحال أن الاعتراض يحقق قصدا أو نكتا بلاغية لطيفة، فيفيد زيادة غرض المتكلم أو الناظم بتقوية معنى الكلام أو تسديده أو تحسينه، بل ربما يخلق معنى جديدا يتماهى مع معنى الكلام المعترض، ومما يدل على ذلك كثرة وروده في النص القرآني حتى يعد ظاهرة فيه، ولذا اهتم به علماء بلاغة النص وتتبعوا مقاصده ، من هذه المقاصد:

- الاعتراض لقصد تنبه المخاطب، كقوله تعالى﴿... حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾[البقرة19-20] فإن جملة(والله محيط بالكافرين) اعتراض، قصد به التنبيه على أن الحذر من الموت لا يجدي.[36]
- الاعتراض لقصد الدعاء، كقول عوف بن الملحن الحراني:

إن الثمانين – وبُلغتَها– ::: قد أحوجت سمعي إلى ترجمان.[37]

فجملة (وبلغتها) اعتراضية، قصد الشاعر بها أن يبلغ المخاطب الثمانين كما بلغها هو، حيث إن من سجية الإنسان محبة مثل هذا الدعاء.

– الاعتراض لقصد التنزيه والإسراع فيه، كقوله تعالى﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾.[النحل 57] فإن قوله (سبحانه) جملة معترضة، والمعنى منه سرعة تنزيه الله عما ينسبون إليه، وهو "غاية في المناسبة لزيادة تأكيد عظمته تعالى، وبعده عما أثبتوه فتزداد بهم الشناعة في قولهم المقصود بيانها في نسبة البنات إليه تعالى ونسبة البنين لأنفسهم"[38]

– الاعتراض بقصد الذم أو تأكيده، وذلك كقول كثير :

لو أن الباخلين – وأنت منهم– :::: رأوك تعلموا منك المطالا.[39]

4) خلاصة البحث:

يمكن أن نسجل في نهاية هذا البحث خلاصات *عامة، وأخرى خاصة بتفاصيل هذا البحث ، على النحو الآتي:*

- إن المتكلم كونه مرسلا وإن كان مخيرا باختيار أي أسلوب يناسب نصه إلا أنه يقع على عاتقه مسؤولية بناء نصه بل ويراهن أن يصل ما عناه إلى المتلقي.
- إن استخدام أيما أسلوب أو تقنية لا تعني، ما لم يستعمل المتكلم ذلك ليعني معنى ما.
- إن القارئ قد يراهن عليه المتكلم في فهمه للنص، ولذا يقع على عاتقه إدراك التقنيات البلاغية لإنتاج المعنى، فلابد وأن يكون على قدر كبير من الوعي .
- الاحتراس والاعتراض كلاهما مظهر من مظاهر الإطناب، من حيث التشابه الشديد الحاصل بينهما، وذلك في ثلاثة أمور :

1- كلاهما زيادة في الألفاظ لإفادة المعنى.

2- وقوعهما في أثناء التركيب أو الكلام المتصل ببعضه أو في آخره فيتصل به غيره، وقد لا يتصل.

3- أن كلا منها يكون لدفع التوهم الذي قد يقع فيه المتلقي.

ثم ينفرد كل منهما بخصوصيات، ويتباين به عن الآخر، من حيث الأصل أو الاشتراطات لتحقق المفهوم البلاغي للطرفين، ويمكن بيان ذلك في النقاط التالية:

1- يشترط في الاعتراض أن يكون بجملة فما فوق، ولا يشترط في الاحتراس ذلك، فقد يكون بكلمة، وقد يكون بجملة.

2- يشترط في جملة الاعتراض أن لا يكون لها محل من الإعراب، وليس كذلك في الاحتراس، إذ قد يكون بكلمة.

3- يشترط في الاحتراس أن يكون لدفع التوهم، والاعتراض قد يكون لذلك، وقد يكون لغيره كما مر، فالاعتراض أعم منه لكونه قد يشمل الاحتراس ويفهم منه لا العكس، إذ لا يفهم من الاحتراس الاعتراض، فالاحتراس أخص.

4- إن الاحتراس يراهن المتكلم عليه في إيصال المعنى المراد، فقد يفسد المعنى بدونه، وليس كذلك الاعتراض، فقد يسقط الاعتراض من التركيب ولا يفسد عدم إيجاده إيصال المعنى المقصود، فشدة احتاج الكلام للاحتراس أكثر.

5- الاحتراس لا يأتي إلا خدمة لمعنى آخر قد يزيد فيه، ولكنه لا يكون بدونه، فهو يؤسس لمعنى جديد، بل يكمل معنى سابق لذا فهو يسمى تكميلا، أما الاعتراض فقد يؤسس لمعنى جديد، كما لو كان للتنبيه والدعاء فالاحتراس يدفع معنى غير مراد، والاعتراض جالب لمعنى مراد.

وأخيرا إن بين الاحتراس والاعتراض عموم وخصوص وجهي، لاجتماعهما في بعض الصور واختلافهما في صور أخرى، ويظل لكل منهما قيمته البلاغية والجمالية.

5) المراجع:

[1]: ينظر لسان العرب، أبو الفضل ابن منظور، تحقيق: عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ب ت ط،،المجلد الرابع/ ع ن ي/3144-3148.، وينظر أيضا أساس البلاغة، محمود الزمخشري، دار الفكر، بيروت لبنان،ط2000م/ مادة عني/ 438، الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3- 1984م، ع.ن.ي.ج6/2166-2167.

[2]: الفصاحة معنية باللفظ والبلاغة معنية بالمعنى، والمقصود من الكلام إفادة المعنى، والمعنى الذي نبحث عنه بالبلاغة، ليس مجرد معنى الكلمة في حد ذاتها إنما معنى الكلمة في تركيبها أو في سياقها، ذلك لأن التواصل هو البيان، والبيان كما عرفه الجاحظ بأنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى.. لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام" البيان والتبيين/تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7- 1998م / ج1/76.

[3] : ينظر نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،ط2- 1981م/38.

[4]: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: نصر الدين حاجي، دار صادر، بيروت،ط1 2004م/30-31.

[5]: المصطلح النقدي في نقد الشعر، ادريس الناقوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط2-1984م/327.

[6]: كتاب الصناعتين، أبوهلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1- 1981/19.

[7]: ينظر علم الدلالة، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1992م/ 56.وينظر أيضا: علم الدلالة، دراسة وتطبيقا، نورالهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس،بنغازي،ط 1- 1995م/96-97.

[8]: يمكن للمتتبع أن يرجع إلى الكتب البلاغية التي تناولت هذه القضية وهي كثيرة، ولعل آخرها كتاب: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، للدكتور: محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ط 2- 2007م / 57. وما بعدها. اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، الأخضر جمعي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق 2001م/ 39 وما بعدها. وينظر أيضا: نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان/38.

[9]: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمد الداية، فايز الداية، مكتبة سعدالدين، دمشق، ط 2-1987م/98.

[10] ن م/98.

[11]: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3 – 1985م/ 35،36.

[12] : إن قصد الشيء أو عنيه هو التوجه إليه هكذا في العربية وكذا الفعل (itentio) في اللاتينية، يرى أدموند هوسرل أن الوعي فعل في الزمن وأن هذا الفعل مهما اختلفت أنماطه فهو فعل يعني شيئا ما، هذا العني هو القصد، فالوعي دائما يعني أو يقصد، هكذا فكل فعل من أفعال الوعي هو فعل من أفعال العني، وكل فعل من أفعال العني هو فعل من أفعال الوعي، وهذا الاكتشاف الذي قال به هوسرل ونسبه إلى معلمه السويسريري(فرانزبرنتان)ليس بدعا إنما يعود إلى عصور غابرة من لدن أرسطو وأفلاطون ، وللمزيد ينظر كتاب: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، د.أنطوان خوري،دار التنوير، لبنان، الطبعة 1- 1984م/182-184.

[13] : ينظر الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، سعيد توفيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1- 1992م/ 26.

[14] ينظر المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راي، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد،ط1- 1987م/ 17.

[15] الفاعل هنا القاصد أي المتكلم أو المرسل عموما، سواء أكان شاعرا أو قاصا أو روائيا وربما رساما، المهم أنه يمارس عملية القصد أو العني.

[16] ينظر: المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، م س/ 17.

[17] ن م / 18.

[18] ينظر: لسان العرب، م س/مج 2/ ح.ر.س/833.

[19] التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني،ضبط وشرح:عبدالرحمن البرقوقي،دارالكتاب العربي، بيروت لبنان، ب.ت.ط/229.

[20] ينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر،تحقيق وتعليق : محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ب.ت.ط/144-145.

[21] ينظر:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط1-2006م/ج 43/2.

[22] ينظر البيان والتبيين، الجاحظ ، م س/ج228/1.

[23] ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، م س/434.

[24] ينظر: ديوان ابن المعتز، أبوبكر الصولي، تحقيق: يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط 1-1997م/65.

[25] ينظر: المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1- 2001م/ 498.

[26] ينظر: علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان،ط1، 193/2009.

[27] ينظر: مختار الصحاح، الفخر الرازي، رتبه: محمود خاطر بك، دار الفكر، ط1972م/ ع .ر.ض/ 245.

[28] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، م س/ ع. ر.ض/ مج 2885/4-2891.

[29] التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، م س/231.

[30] ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، بفوائد وهوامش الدرر المنتخبة للدماميني، المطبعة الميرية، مكة المكرمة، ط1-1319هـ/ 35.

[31] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ، تحقيق: محمد محيي الين عبدالحميد، دار الشام للتراث، بيروت لبنان، ب ت.ط/ج 386/2. وينظر أيضا الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، حققه: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان،ط1، 2012م/267.

[32] ينظر المطول، التفتازاني، م س/500.

[33] ينظر شرح التلخيص ، أكمل الدين البابرتي، دراسة وتحقيق، محمد مصطفى بن صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا، ط1983،455/1.

[34] المطول ، التفتازاني، م س/ 502.

[35] ينظر: الطراز ،يحي بن حمزة العلوي، تحقيق: الشريبني شريدة، دار الحديث، القاهرة،2010م / 186.

[36] ينظر: الكشاف، الزمخشري، م س، ج 1/ 218.

[37] كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، حققه وضبط نصه: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 ، 1981م/441.

[38] شروح التلخيص، التفتازاني، المغربي، السبكي، حاشية الدسوقي، على شرح السعد، دار الآثار الإسلامي، بيروت لبنان، ب ت ط/ ج3/ 238.

[39] ينظر ديوان كثير عزة جمع وتحقيق: إحسان عباس، دارا الثقافة، بيروت لبنان، 1971م/507.